العرب
الجمعة 2019/12/20
السنة 42 العدد 11564

المسيحيون في ليبيا يسرقون لحظات الفرح في قداس الجمعة

صوت الأجراس يعلو على لعلعة الرصاص

وجدت المسيحية في ليبيا منذ قديم الزمان، لكن لا يوجد اليوم مسيحيون ليبيون، ومن يقومون بطقوس هذه الديانة السماوية هم من الأجانب من أفريقيا وآسيا وأوروبا استقروا في مناطق متفرقة من البلاد، بقي منهم القليل خاصة في العاصمة طرابلس بعد ثورة 2011 وانتشار الفوضى التي هددت وجودهم، القليلون الذين يصرون على البقاء في البلاد يقيمون قداسهم الجمعة بدل الأحد.

طرابلس – بلباسه الأبيض والأسود، يجول النيجيري جوناثان جوشوا داخل كنيسة في طرابلس حيث يساعد المؤمنين على أخذ مقاعدهم. ومع بدء القدّاس، ينسى هذا الرجل المسيحي المتدين أنّه يعيش في ليبيا الرازحة تحت وطأة الحرب وينسى التهديدات التي تتربص بالمسيحيين من قبل المتطرفين، خاصة وأنه لا توجد قوانين صريحة تجرم الاضطهاد الديني أو التمييز العنصري.

وصل جوشوا (30 عاما) إلى هذه البلاد قبل أربعة أعوام، حاملا معه شهادة في الهندسة الميكانيكية. يعمل حاليا في سوق الجمعة حيث يسكن أيضا، وهو حي مكتظ في الضاحية الشرقية لطرابلس، غير بعيد عن المعارك الدائرة بين حكومة الوفاق الوطني والقوات الموالية للمشير خليفة حفتر.

يقول "أجد أنّ الحياة صعبة جدا هنا، ولكن في الكنيسة أنسى لعدة ساعات أنني في ليبيا".

وعلى الرغم من أن المسيحية وصلت إلى ليبيا منذ ما قبل الميلاد، إلا أن المسيحيين لا يشكلون سوى 3 بالمئة أو أقل من سكان ليبيا البالغ عددهم ستة ملايين، وجميع المسيحيين من الأجانب الذين جاء قسم كبير منهم من مصر وآخرون قدموا من أفريقيا حين كانت ليبيا تمثل وجهة مثالية للهجرة قبل الثورة. ويعاني المسيحيون اليوم في ليبيا من تداعيات الفوضى التي انزلقت إليها البلاد وقلّ عددهم كثيرا، وقد ترك كل الغربيين البلاد بعد معارك صيف عام 2014، ولكن الأفارقة والآسيويين وبعض الجنسيات العربية فضلوا البقاء، إذ أن فرص العمل في ليبيا تبقى أفضل على الرغم من عدم الاستقرار الأمني.

تقول ليزا، ممرضة فلبينية تبلغ من العمر 51 عاما، "كنا أكثر من 100 ألف مسيحي قبل الثورة عام 2011، لكن لا يتجاوز عددنا اليوم آلافا قليلة، أقل من ألف منهم في طرابلس".

وإلى كنيسة القديس فرنسيس، وهي واحدة من أقدم الكنائس الكاثوليكية في طرابلس وتقع في وسط المدينة القديمة، يتوجه المسيحيون، وكلهم من الأجانب، للمشاركة في القداس الذي يقام الجمعة بدل الأحد الذي يعد يوم عمل.

بعض المسيحيين كما في سبها يقولون إن إقامة القداس الجمعة تجنبهم جلب انتباه المتطرفين، خاصة حتى أنهم لا يقرعون الأجراس عكس مراسم القداس في طرابلس.

> كنيسة القديس فرنسيس واحدة من أقدم الكنائس في طرابلس يقام القداس فيها يوم الجمعة بدل الأحد الذي يعد يوم عمل

وفي كل جمعة، تخرق الأصوات الآتية من الكنيسة الهدوء الذي يعمّ في المحيط الخارجي، إذ يكون الليبيون في بيوتهم في بداية عطلتهم الأسبوعية.

ويستقبل جوناثان جوشوا برفقة خمسة آخرين المؤمنين، ويساهم في توزيع المقاعد قبيل قدّاس يندرج في إطار الاحتفالات بعيد الميلاد.

وفي الأرجاء، تختلط اللغات المختلفة بالضحكات وببكاء الأطفال، بينما يسارع جوناثان إلى تهدئة ست فتيات يرتدين ثياب الملائكة ويلهين بالتسلل بين مقاعد الكنيسة.

ويسكن الطائفة المسيحية إحساس متزايد بانعدام الأمن بعد 2011 حتى اختار البعض منهم وخاصة القادمين من أفريقيا تغيير أسمائهم ليصبح اسم جوزيف، يوسف، ويتحول فيليب إلى محمد، أما النساء فمع تغيير أسمائهن يلبسن الحجاب لحماية أنفسهن من أي مكروه، لكن في هذا الوقت من السنة المتميزة بمقدّمات عيد الميلاد، تتحوّل الكنيسة أكثر من أي وقت آخر إلى مكان للمواساة والأمل بالنسبة إلى مسيحيي طرابلس الذين لم ينسوا بعض الهجمات التي نفذها الدواعش ضدهم.

وتتألف الطائفة المسيحية في طرابلس، بشكل خاص، من فلبينيين وهنود وباكستانيين يعملون في مجالات الصحة والبناء، بالإضافة إلى مهاجرين أفارقة، يعيشون غالبا في أوضاع غير قانونية.

ويلفت الأسقف جورج بوغيجا (57 عاما) إلى أنّ "التردد إلى الكنيسة لا يزال عاديا، أقله حتى الآن".

ويضيف "نواصل الاحتفالات كالمعتاد"، غير أنّه يشير في الوقت نفسه إلى "تراجع في أعداد المترددين على الكنيسة".

ويعيد الأسقف بوغيجا هذا التراجع إلى عودة العديد من الآسيويين إلى بلدانهم بسبب التوتر القائم في طرابلس، وكذلك عودة "أفارقة كانوا يعيشون في أوضاع غير قانونية وغالبيتهم من النيجيريين" الذين هم الأكثر عددا في ليبيا.

ومن جانبها، تأسف أرليندا (62 عاما)، الممرضة في أحد مستشفيات طرابلس، لتناقص عدد مواطنيها مع تواصل المعارك.

وكانت هذه الشابة قد وصلت إلى ليبيا بعمر الـ25 عاما، حيث تزوجت بفلبيني وصارت أمّا لأربعة أطفال، تقول "إنّ حياتنا هنا، فأطفالي ولدوا في طرابلس"، مضيفة أنّ "الكنيسة مكان آمن، مكان للسلام وفرح التشارك، خاصة خلال هذه الفترة من العام التي نحتفل خلالها بولادة يسوع المسيح. إنّها أوقات روحانية مبهجة".

ويذكر أن القوانين الليبية تمنع تناول الكحوليات أو الاحتفال العلني بعيد الميلاد أو رأس السنة الميلادية، وقد تكيف المسيحيون مع هذه القوانين التي يدعمها العرف الاجتماعي والتقاليد الصارمة في البلاد. وقدم بيرتو الإيطالي، وهو واحد من بين قلة من الأوروبيين الذين لا يزالون يعيشون في طرابلس، إلى الكنيسة الجمعة فقط "لإلقاء نظرة".

ويؤكد الأستاذ الخمسيني الذي وصل إلى ليبيا قبل خمس سنوات لتعليم لغته كما يوجد آخرون يدرسون لغات أخرى كالإنكليزية "لم يعد ثمة شيء يزعجني في هذا البلد، اعتدت على الحياة هنا".

ويضيف "إننا نعاني مما يعانيه الليبيون من انعدام الأمن وغلاء المعيشة، فما يؤثر عليهم يؤثر علينا أيضا، ونحن نصلي في كل قداس أن يستعيد هذا البلد الذي يحتضننا السلام المفقود منذ سنوات".

وغير بعيد عنه، تتبادل أنجلينا (14 عاما) الحديث مع صديقتين، تقول "فقط حين أذهب إلى الكنيسة، أصادف غانيين آخرين من عمري"، ما يعني أن الجاليات الأفريقية ليست لها حماية في طرابلس في الوقت الراهن.

وتضيف "هنا، لا نملك حياة اجتماعية خارج المدرسة والبيت والكنيسة" لأسباب أمنية. وتتابع "لذلك، ولمرة واحدة أسبوعيا، أختار ثيابي بتأن ومزاج، إنني أحب الذهاب إلى الكنيسة، إذ تشعر فيها كما لو أنك في منزلك".

قداس أسبوعي ينسي الهم اليومي

التلفريك مشروع يشوه الوجه المعماري للقدس القديمة

القدس – تحمل البطاقات البريدية للبلدة القديمة في القدس رسما لأسوارها التي تعانق السماء، وتحيط بها أشجار الزيتون، لكن هذه التفاصيل ربما ستتغير قريبا لتضاف إليها القاطرات المعلقة "التلفريك" وأعمدة التحكم الخاصة بها.

وافقت إسرائيل على مشروع بقيمة 200 مليون شيكل (57 مليون دولار)، لنقل الزائرين من غربي المدينة إلى قطاعها الشرقي الذي ضمته إسرائيل، والذي تقع فيه عدة مواقع أثرية لأهم الديانات التوحيدية.

يقول القائمون على المشروع إن هدفه ينحصر في تخفيف الازدحام المروري والتلوث الذي يصاحبه بسبب التدفق المتزايد للسياح.

ووفقا لأرقام وزارة السياحة الإسرائيلية، فقد تضاعف عدد زوار المدينة المقدسة والمتنازع عليها في أقل من خمس سنوات ليصل إلى أربعة ملايين زائر في العام 2019.

وقال وزير السياحة الإسرائيلي ياريف ليفين في مايو 2018 عندما تمت الموافقة على الخطة "سيغير مشروع التلفريك وجه القدس مما يتيح للسياح والزائرين الوصول السهل والمريح إلى الحائط الغربي".

والحائط الغربي أو حائط المبكى (البراق عند المسلمين) الواقع جنوب باحات المسجد الأقصى هو أقدس الأماكن لدى اليهود، كما أنه قريب من كنيسة القيامة.

وينوه علماء آثار ومهندسون معماريون ومخططو مدن إلى أن المخطط – إذا اكتمل – سيكون آفة تهدد جمالية ومعمارية التراث القديم للقدس.

واحتلت إسرائيل القدس الشرقية عام 1967، وضمّتها لاحقاً في خطوة لم يعترف بها المجتمع الدولي.

وتعتبر إسرائيل القدس بشقيها عاصمتها الموحدة، في حين يريد الفلسطينيون إعلان القدس الشرقية عاصمة لدولتهم المستقبلية.

ومن المخطط له أن يبدأ تشغيل الخط البالغ طوله 1.4 كيلومتر بحلول عام 2021، على الرغم من اعتراضات مقدمة إلى المحكمة العليا حوله. ويفترض أن تكون محطة السكك الحديدية التي تعود إلى الحقبة العثمانية والتي لم تعد تعمل في القدس الغربية، محطة انطلاق التلفريك، وستستوعب محطة زجاجية مكونة من طابقين 3000 مسافر في الساعة.

ستكون المحطة الأولى في جبل صهيون وهو موقع لمبنى قديم حيث يعتقد المسيحيون أن السيد المسيح وتلاميذه التقوا فيه للعشاء الأخير وهو المكان نفسه الذي يقدسه اليهود على اعتبار أنه مكان دفن الملك التوراتي داوود. ومن جبل صهيون، ستمر القاطرات المعلقة فوق بلدة سلوان التي تعتبر مركزا للنزاع بين سكانها الفلسطينيين الذين يشكلون الأغلبية، والمستوطنين.

ويمتلك الفلسطيني أبوإبراهيم بقالة صغيرة على الشارع الرئيسي في البلدة، ولا تبعد البقالة سوى عدة مئات من الأمتار عن أسوار البلدة القديمة. ويقول أبوإبراهيم "عادة ما يوضع التلفريك فوق مساحات خالية وليس فوق رؤوس الناس". في سلوان، سيمر التلفريك فوق حوالي 60 منزلا، على ارتفاع يصل في بعض النقاط إلى 14 مترا فوق أسطح المنازل. وستكون المحطة التي تلي سلوان بالقرب من الحائط الغربي في مجمع سياحي متعدد الطوابق، يتم تمويل بنائه من قبل جمعية "إلعاد" الاستيطانية التي تسعى إلى زيادة الوجود اليهودي في القدس الشرقية الفلسطينية بشكل رئيسي.

ويترقب المرشد السياحي ميشيل سيبان تشغيل التلفريك الذي يقول إنه سيسهل الوصول إلى المدينة القديمة المزدحمة بالسكان والممرات الضيقة. ويضيف "أصبح من المستحيل على المرشدين الوقوف، لا يمكن إلا للحافلات الاقتراب وإنزال السائحين".

أما معارضو المشروع، فيرون أن الأعمدة الفولاذية وعددها 15، وحجرة التلفريك التي تتسع لـ72 شخصا، ستخفي موقعا رئيسيا في تاريخ البشرية.

وأدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" مدينة القدس وأسوارها كموقع للتراث العالمي، في حين تعتبر إسرائيل ضواحيها المتمثلة بجبل الزيتون وجبل صهيون ومدينة داوود جزءا من حديقة أسوار القدس الوطنية.

ويقول المهندس المعماري غافرييل كيرتسز الذي أدار العديد من المشاريع حول أسوار المدينة القديمة "حتى الآن توفر هذه المنطقة مشهدا خاصا للمدينة القديمة وأسوارها، وتعتبر مكانا مقدسا محميا من قبل هيئة الحديقة الوطنية". واحتج 70 معماريا إلى جانب علماء وأكاديميين إسرائيليين في خطاب مفتوح أمام المحكمة قبل اعتماد المشروع، معتبرين "القدس ليست ديزني لاند (مدينة ملاهي)، فالمناظر الطبيعية والتراث ليسا للبيع"، وفق ما يفيد الناطق باسم أهالي سلوان، فخري أبودياب.

وطلب 30 من المهندسين المعماريين والأكاديميين الدوليين البارزين من الحكومة الإسرائيلية التخلي عن الخطة، وكتبوا في عريضة أن "اختيار التلفريك ليس مناسبا للمدن القديمة التي تتمتع بمشهد خاص منذ مئات أو آلاف السنين".

من جهتها، نددت عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حنان عشراوي بالمشروع الناشئ باعتباره محاولة لفرض الوجود الإسرائيلي في القدس الشرقية و"انتهاكا واضحا للطبيعة الثقافية والتاريخية والروحية والجغرافية والديموغرافية للقدس".

ووجدت وجهة النظر الفلسطينية مؤيدين لها من المنظمات غير الحكومية الإسرائيلية مثل منظمة "عيمك شافيه" التي تعارض استخدام علم الآثار لأغراض سياسية.

ويقول مدير المنظمة يوناتان مزراحي "أصبح صناع القرار مهووسين بتهويد المدينة وهم ينسون حماية القدس التي يحبونها كثيرا". ويضيف "أولئك الذين ينادون بكل ما هو خاص وفريد بالقدس يعارضونها من اليسار إلى اليمين".

هل تتدخل اليونسكو؟